«التلوث الفكري» في مقدمة عوامل تهديد الحضارة الغربية الآن

١ من ٢

«على مدى اكثر من ٣ ساعات استضافت «الشرق» المفكر الاسلامي الكبير الاستاذ الدكتور رشدي فكار في ندوة تناولت في طروحاتها كافة القضايا والهموم في عالمنا المعاصر بصفة عامة وفي امتنا الاسلامية خاصة.. فلقد تكلم الرجل بمقدرة خلال الندوة حول التلوث الفكري، اخطر انواع التلوث الان، وكيف ان الاسلام قد حمانا من وصول هذه الآفة الينا بعد ان عانى منها اصحاب الحضارة في الغرب وأدت بهم إلى اليأس والملل من الحياة ومن ثم اختيار الانتحار كطريق للخلاص، وتحدث عن المأزق الذي وقع فيه كبار الفلاسفة والمفكرين في الغرب عندما راهنوا على العلم وحده كأساس للحياة بعيدا عن الدين واكتشفوا في النهاية مدى فداحة الثمن الذي دفعوه.»

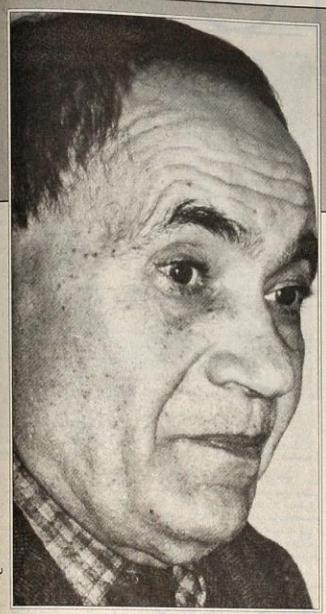

د. رشدي فكار

الإسلام خير ضمان لعدم تسرب هذا التلوث إلى مجتمعاتنا

جانب من الندوة

«تصوير»: سيد بشير الدين

آدار الندوة:

ناصر العثمان

حامد عز الدين

أعدها للنشر:

عبدالكريم يعقوب

وحضرها ضيوف «الشرق»:

- **الدكتور محيي الدين عبدالحليم**
- **الدكتور احمد السايح**
- **الدكتور محمد نجيب التلاوي**

الأساتذة بكلية الشريعة والانسانيات

- **الدكتور عبدالباسط الأعصر**

الأستاذ بكلية العلوم جامعة قطر

١ في البداية رحب الاستاذ ناصر العثمان المشرف العام على التحرير بالدكتور فكار وضيوف الشرق قائلا:

ترحب بالعالم والمفكر الاسلامي الكبير الدكتور رشدي فكار ولن نطنب في مدحه فهو مهما قيل فيه سيصبح اقل مما يستحق لما له من مكانة علمية وما له من تقدير ولما له من فكر نير وعلم واسع نفع به الامة ونفع وخدم به الاسلام والعروبة في المحافل الدولية، ومازلت اذكر عندما شرفنا في الدوحة عام ١٩٨٦ لبلقي محاضره بدعوة من وزارة الاعلام وكنت حينئذ مديرا لادارة الثقافة والفنون ومازلت اذكر تلك المحاضرة وهذا الاقبال الكبير والشديد من جمهور محبي الدكتور فكار ومحبي فكره وثقافته ومازلت احمل الكثير مما استفدت به شخصيا من تلك المحاضرة، واكرر بلا مجاملة ان الدكتور فكار مدرسة قائمة بذاتها وله منهج وفكر نهتدي به ونسير عليه ونستفيد منه وخاصة في فلسفته الاسلامية العميقة واترك الكلام للدكتور فكار الذي يشرف الشرق في داره ونشكر الاساتذة الافاضل الذين حضروا معنا ونامل ان نخرج من هذه الندوة بكل الفائدة وان ينتفع بها القراء الاعزاء.

● **الدكتور رشدي فكار:**

المفروض الا يتم الترکيز في عالمنا المعاصر على التلوث البيئي وتلوث النفايات هناك التلوث الرائد الذي يقود هذه التلوثات وهو التلوث الفكري وله تاثير رهيب ليس فقط في الحضارة بل في مسيرة الكون ومن يعش في القرن العشرين ويتاح له ان يطلع على انجازات القرون السابقة فسوف يندهش لهذه الانجازات خاصة في الفكر والثقافة والفنون، والقرن الحالي يمكن ان نقول عنه انه عملاق في عطائه وعملاق في كوارثه ومأسيه حيث قدم انجازات علمية وتراكما معرفيا وطموحات للعلماء وهناك شهية مفتوحة حتى ان البعض منا ذهب الى القول ان ما انجز في الخمسين عاما الماضية فقط يعادل ما انجز في قرون مضت كانت البشرية في حاجة اليها ولكن يجب ان ناخذ جانب الحذر حتى لانتسرب الينا خاصة وان الانسان يمكن ان يتلوث وهو في قمة وعيه حتى في اعرق المجتمعات واعلى المستويات الوظيفية، والاسلام قدم لنا نظرية الحلال والحرام وهي قمة التوعية بالمسئولية ولو القينا نظرة على ما حدث من انهيارات في الاتحاد السوفييتي سابقا والكتلة الشرقية نجد ان الفلسفة اللينينية الماركسية قد تحولت وتلوثت لتصبح مبررا للمدافعين عن اخطاء الماركسية فمثلا نجد ان المنظر الشيوعي «سوسلوف» وهو اقدر عقل انساني عندهم لمدة ٤٥ عاما كان يقول مهمتي هي التبرير وهذه في مقدمة اسباب ماحدث عندهم.

ولكن في الغرب كان هناك تخفيف اولا باول من التلوث الايديولوجي فكل ٥ سنوات كان يظهر كتاب جديد يصحح لهم المسار ويكشف عن العيوب والاخطاء ويحدد طرق الاصلاح لاعادة صياغة الايديولوجيات ويستفيد من كل الآراء وحتى نقد الماركسيين للرأسمالية كان يقرأ في الغرب بحرية ويستفاد منه بعكس التعتيم المفروض في الكتلة الشرقية على النقد وان الماركسية كانت تصل الى حد القداسة وأي ناقد لها كان يعتبر مرتدا الى ان حدث الارتداد الهائل والتاريخي وانهارت الشيوعية.

واستمرارية الاديان وفي مقدمتها الاسلام خير دليل على ان قضية وهذا يدل على انجازات رهيبة في هذا القرن والمعروف ان (سبنسر) الفيلسوف الكبير كان من دعاة الحرية حتى انه كان يعمل في الليل وينام في النهار حتى لايشارك في ازعاج الناس والاعتداء على حريتهم ومعروف ان سبنسر قد آلت نظريته الى العنصرية، والقمع الفكري وهو ماكان لايخطط له.

ومن هنا بدأت البشرية تشعر بالمأزق لان من انجزوا لم يضعوا في حسبانهم ردود الفعل لهذه الانجازات، ومن هذه الردود التلوث الفكري، لان كل شيء اصبح متاحا ولم تصبح هناك حدود في التفكير المباح وبدأت الامور في التسيب تحت هذا الاطار حتى وصلت الامور الى ان هناك الان جمعيات تسمى بجمعيات (الاقذار) وفكروا في كل شيء ونلاحظ انه في القرن العشرين اتجهوا الى تجريد الروحانيات من مضمونها واصبحت بعض المجتمعات تنظر اليها كتراث ماضي وموضع تخصص سلبي لابراز الجوانب التي يفتعلها البعض بحجة حرية الانسان والعقل البشري وان الانسان المعاصر اصبح يجد صعوبة في احالة نفسه الى مرجعية، واخذ يسال نفسه سؤالا مهما هو: هل اعيش من اجل ان اكرر ما افعله كل يوم من نوم وعمل واستمتاع بانجازات الحضارة، واذكر انه جاء في احد تلاميذي في باريس وهو ابن مليونير فرنسي يسالني: عمري ٢٠ عاما وتمتعت بكل شيء في العالم ولاشيء محظورا بالنسبة لي حتى انه لدي طائرة خاصة ولكني اخذت قرارا بالانتحار لانني لا اريد ان اعيش ٦٠ عاما اخرى لاكرر نفس انماط الحياة واصبحت العملية مملة لي وهزلية.

والفيلسوف الالماني الكبير نيتشه قال انني استدعي الموت حينما اريد فعندما اريد ان اموت استدعيه، ولكن الموت الايماني هو ان انتظر الميعاد الذي حدده لي الله عزوجل ولكل اجل كتاب، واريد ان اصل الى ان التلوث الفكري اصبح يساعد على تازم الانسان المعاصر ويساعده على التفكير في الانتحار والرحيل، عكس الوضع في التفكير في الحضارات السابقة ومنها الحضارة الاسلامية التي كانت تقدم تعليلا منطقيا للحياة وللوجود والحكمة من وراء خلق الله للانسان وتفضيله على جميع المخلوقات.

ومن هنا نرى ان التلوث الفكري لدى البعض اصبح لافتا للنظر وآن الاوان لكي نطرحه للمناقشة قبل بحث التلوثات الاخرى مثل تلوث البيئة والنفايات والجسد ونحتاج الى وقفة جادة ولكن القضية ليست ملحة في مجتمعاتنا العربية والاسلامية لانها لم تصل الى حد الوباء.

دور الإسلام

● **حامد عز الدين:**

هل يمكن ان نقول ان الاسلام قد حمانا من التلوث الفكري؟

● **الدكتور فكار:**

نعم لان من الجوانب المضيئة في الاسلام هو تسييب الوجود بموضوعية تجعل تفكير المؤمن مطمئنا الى انه لم يخلق عبثا وانه مرتبط مع خالقه بعلاقة مرتبطة بالبومه الاخر وان الدنيا هي استمرارية له وانه سيحاسب وهو مايطرح معادلة مفيدة للانسان مما يقضي على مسالة التلوثات الفكرية

> **البشرية أحست بالمأزق الذي وصلت إليه بعد أن راهنت على العلم بعيدا عن الدين**

لاول مرة اسمع هذه الاطروحة وهي تحتاج الى حديث اهم ودراسة شاملة وهذا المفهوم ما اتسع وعم وسمعنا به الا منذ ان ضعف العالم الاسلامي لان التلوث الفكري الذي اصابنا لم يكن بنفس الدرجة في الماضي لانه منذ ان اصبنا بالتخلف العلمي واصبحنا نقلد غيرنا انتقل الينا التلوث الفكري الذي نراه الان واصاب الانسانية، ويقينا ان هذا التلوث الذي اصاب العالم بالانحطاط في كثير من الامور ربما كان له اسسه واسبابه البراجماتية والنفعية ومن هنا قامت الافكار لتنشر هذا الفكر على انه حق طالما يقدم نفعا للانسان وربما كان الانحدار هذا له مايبرره في الغرب، ولايخفى علينا اننا ندرك ان البراجماتية تذهب الى القول بان كل شيء يقدم للانسان مفيد وهذا بلا شك يعد تلوثا فكريا واصبح بالتالي هناك افكار جعلت ما نسميه منكرا هو معروفا وبالعكس، فالقضية الاساسية ان المجتمعات الاسلامية عندما تخلفت علميا ساد فيها التلوث الفكري ولذلك فمن وجهة نظري ان المجتمعات الانسانية لا تستطيع التخلص الفكري الا عن طريق الحوار لتنقية الافكار مما اصابها وساعد على انتشار التلوث الفكري ايضا سرعة الاتصال ورواج الافكار بعد التقدم الكبير في وسائل الاعلام وبالتالي وجدت المذاهب المختلفة والتيارات الفكرية التي لاتهدف الى وجود الحق وهذا ماتم في القرن العشرين وهو ما اشار اليه الدكتور رشدي فكار في المحاضرة التي القاها في الجامعة، والفكر من قضايا الحضارة ولاتوجد حضارة بالمعنى السليم لها الان بعد اصابتها بالتلوث وهنا لامجال للارتقاء بالانسان وهناك قطب احادي بحاول السيطرة عليه والانسانية تجد الان تغيرات خطيرة في العالم واصبح الناس ينظرون الى من هو الاقوى، والان سوق الافكار اصبحت كسوق السلع وهي اكثر الاسواق انتاجا واصبحت هناك مؤسسات - كما اشار الدكتور فكار من قبل تحاول ترويج بعض الافكار المفيدة لها بصرف النظر عن ان هذه الافكار تخدم الانسانية ام لا ولذلك اصبح الامر صعبا على الباحث في مجال تقويم الافكار او حتى تصنيفها في مصنفات ليحاول ان يرد عليها كما ان المواجهة للانحرافات الفكرية اصبحت صعبة لتلاحق الافكار وبالتالي ازداد التلوث الفكري في العالم والبشرية في طريقها لاقامة المجتمعات ولذلك هي في حاجة لتنقية الافكار والانسانية كلها الان في الشرق والغرب في اشد الحاجة الى ان تعي المواجهة ومواجهة الانحلال والتخطيط لها عن طريق مؤسسات متخصصة تخدم الانسانية.

الاعلام الاسلامي

● **حامد عز الدين:**

الدكتور محيي الدين عبدالحليم في معرض كلام الدكتور فكار عن التلوث الفكري اشار سيادته الى ان الاسلام ساعد على حمايتنا من هذا التلوث، والسؤال هو: هل قامت اجهزة الاعلام الاسلامية بدورها في مجال حماية المواطن المسلم من هذا التلوث؟

● **الدكتور محيي الدين عبدالحليم:**

الحقيقة انه في البداية لابد ان نحدد ماهية وسائل الاعلام الاسلامية ونقول ان هذه الاجهزة عاجزة عن مواجهة وسائل الاعلام المتقدمة في العالم، العالم الاسلامي الان يعيش في موقف المتلقي خاصة بعد ثورة الاتصال المباشر وسيطرة اعدائنا على هذه الوسائل نحن الان مثلا نجلس امام التليفزيون ونشاهد مايقدم لنا سواء الذي نحبه او نكرهه، يمكن ان تشوه وتبتر الحقائق عن الاسلام ونحن عاجزون عن ان نقدم حتى الصورة الحقيقية للاسلام حتى لعالمنا المسلم الذي يعيش في عجز وللاسف فان المسلمين يعرفون مايدور في عالمهم المسلم عن طريق ماتقدمه لهم وكالات الانباء وعن طريق الـ «C.N.N» الى جانب ان وسائل الاعلام الاسلامية تعمل في ظل انظمة توجهها وتتحكم فيها ولا تستطيع ان تفلت منها ونحن نعلم ان العالم الاسلامي يعيش في عجز.

واذكر مرة انني كنت في هولندا منذ عامين والقيت محاضرة في المركز الاسلامي هناك عن «الحرية في الاسلام» في استرداد والراي والتكوين واندهش الحاضرون عن المساحة الكبيرة للحرية في الاسلام وسالوني عن حقيقة هذه الحرية ولكنهم قالوا لي: وماهو البلد الاسلامي الذي يطبق هذه الحرية؟ وهو سؤال صعب وعجزت عن الرد، والصحافة ان لم نعمل في متناح صحي وكذلك وسائل الاعلام الاخرى فانها لن تقوم برسالتها كما يجب ونحن نعرف ان وسائل الاعلام في العالم الاسلامي تكاد تعيش الان في حالة حرب مع بعضها الى درجة ان هناك من يحارب الاسلام من داخل العالم الاسلامي، وهناك من يتهم الاسلام واللغة العربية بالقصور عن مواكبة التطور العلمي، وهذا كيف تستطيع وسائل الاعلام في هذه الظروف ان تؤدي دورها المنوط بها؟.

اننا نسمع كثيرا عن الانظمة الاعلامية الاسلامية ولكن لانرى لها صدى على ارض الواقع وماذا قدمت هذه الانظمة للمسلمين وقضاياهم، ولا اكاد ان ارى لها وجودا او اثرا والدكتور فكار حدثنا اليوم عن عشرات الافراد الذين دخلوا في الاسلام بسبب تاثرهم بنموذج قدم امامهم وبسبب سلوك فردي وهنا اسال: اين الاستراتيجيات الاسلامية واين نحن من التقدم والتخطيط في العالم؟ واقول ايضا اذا كان الاسلام يتقدم فانه يتقدم بقوته الذاتية ولايتقدم بالمسلمين وهم في حالة عجز عن القيام بدورهم.

وللاسف فان الجامعات الاسلامية تقدم الكثير من الدراسات والاطروحات للعمل الاسلامي الاعلامي ولكنها للاسف توضع على الارفف وفي المخازن ولايستفاد منها وكاننا نحن الباحثين في حالة خصام مع صانعي القرار في العالم الاسلامي نحن في واد وهم في واد آخر، ان الفارق الحقيقي بيننا وبين العالم المتقدم هو فارق علمي واذا لم نضيق هذه الهوة فلن نلحق بهم ايضا ووسائل الاعلام هي جزء من هذا المجتمع، نتمنى ان نرى قمرا صناعيا اسلاميا يبث برامجنا ونتمنى ان تكون هناك وكالة انباء اسلامية قوية تنقل صورة الاسلام الحقيقية وكذلك صحيفة اسلامية قوية، للاسف نحن نتحدث وغيرنا يعمل نحن نحتاج الى لحظة صدق مع انفسنا وان نضع استراتيجية واضحة تحافظ على هويتنا العربية والاسلامية خاصة في الوقت الذي يحارب فيه الاسلام.